الدرس الثالث

بداية الحكم الملكي

1صموئيل 8: 1–12: 25

1. مقدمة

مع فقدان إسرائيل لتابوت العهد، إنقطع العمل الرسمي للحكم الإلهي. وقد سمح الله لأعداء إسرائيل بالاستيلاء على تابوت العهد كدينونة منه على الحكم الثيوقراطي. ولا يعني هذا أن الحكم الإلهي فشل، بل يعني عدم قيام الشعب بمسؤولياتهم تجاه الحكم الثيوقراطي.

تدخل أمّة العهد في 1صموئيل 8 في علاقة جديدة مع يهوه؛ إذ ستكون إسرائيل الآن ملَكية يحكمها ملك بشري. ويتضمن هذا التغيير بعض الأسئلة الهامّة المتعلّقة بإرادة الله. فعندما طالبت الأمّة بملك، كانت بذلك ترفض يهوه ملكاً لها (1صموئيل 8: 7). كانت مطالبتهم بملك عملاً آثماً (1صموئيل 12: 17)، غير أن الرب رضي بأن يكون لهم ملك بشري عليهم (8: 22).

يجب أن نضع في اعتبارنا أن يهوه سبق أن رأى ذلك اليوم الذي سيكون فيه للأمّة ملك –حتّى إنه أراد أن يكون لهم ملك (تكوين 49: 19؛ عدد 17: 14–19؛ 18: 17–20)، لكنه لم يخبر الأمّة كيف ومتى. ويمكننا أن نفهم من ناحية بشرية المنطق وراء رغبتهم في أن يكون لهم ملك: (1) كان صموئيل طاعناً في السن وابناه فاسدين؛ (2) واجهت الأمّة أخطاراً خارجية، بما في ذلك خطر الآراميين من الشمال والعمّونيين من الشرق. ولهذا أرادوا أن يكون لهم ملك يقودهم في الحرب ضد أعدائهم. غير أن هذا كان قراراً خاطئاً: (1) كان دافعهم لذلك خاطئاً، لأنه تضمّن رفضاً ليهوه ملكاً عليهم (أي أنه كانت لديهم روح رفضٍ للثيوقراطية)؛ (2) كان هذا أمراً سابقاً لأوانه – إذ لم ينتظروا قيادة الله في هذا الأمر ليروا الملك الذي سيختاره؛ (3) طالبوا بذلك مدفوعين برغبة في مشابهةِ العالم "كسائر الشعوب." ومن ناحية أخرى، فإن أعمال الله بارّة، وسيقوم باستخدام النظام الملكي الجديد لكي ينجز مقاصده.

2. البُنية

رفضهم ليهوه كملك والمطالبة بملك بشري أصحاح 8	يكشف الله لصموئيل أن شاول هو الذي سيكون ملكاً أصحاح 9	تثبيت كون شاول ملكاً للأمة	انتصار شاول يوحّد الأمة تحت قيادته أصحاح 11	صموئيل يطلب من الأمة أن تطيع الرب وتخدمه أصحاح 12

3. الرسالة

تتحدث هذه الأصحاحات عن سماح يهوه للشعب بأن يكون لهم ملك، على الرغم من أنّ طلبهم هذا كان آثماً. وقد حذّرهم من عواقب ذلك (8: 10–18)، واعتبرهم مسؤولين عن قرارهم.

فيختار الله في هذه القصة الرجل الذي سيكون ملكاً، وهو يفعل ذلك بشكل منصف، فهو يختار أفضل مرشح في تلك الأرض. إذ كان شاول من ناحية بشرية خياراً ممتازاً من حيث المظهر والقامة (9: 2) وما إلى ذلك. كان قائداً جيداً (الأصحاح 11)، وقد غيَّر الله من المنظور البشري، لكي يكون هناك عذرٌ في اختيار شاول. ولكن حين يفشل شاول في نهاية الأمر، سيعرف الشعب أن حلّ مشاكلهم لا يتمثل في وجود ملك، فحاجتهم الحقيقية هي أن يكون لهم قلب مطيع. وفضلاً عن ذلك، فإنهم سيدركون مع الوقت أن هذا الملك –على الرغم من خصاله ومزاياه – لم يوفِ مقاييس الله. فكانت هنالك حاجة إلى وجود رجل يكون حسب قلب الله. وهكذا يشكّل شاول الخلفية التي اختارها الله لظهور داود الذي يشكل صورة رمزية مسبقة للرب يسوع.

لم تتغير خطة الله للأمة في هذا كله. ولا يجب أن يغيب عن بالنا العهد الإبراهيمي! إذ كان يفترض في إسرائيل حسب هذا العهد أن تكون وسيط البركة للعالم، وأن تكون أمّة مفرزة لله. وعلى الرغم من اختلاف الأساليب، إلاّ أن علاقة الله بهم كما يعبّر عنها العهد الإبراهيمي لم تتغير:

"لأنه لا يترك الرب شعبه من أجل
اسمه العظيم، لأنه قد شاء
الرب أن يجعلكم له شعباً" (1صموئيل 12: 22)

ما زالت الأمّة تحت العهد الإبراهيمي وما زالت مسؤولة أمام يهوه. وما زال الإيمان والطاعة أمرين جوهريين في أهميتهما. وسيسمح الله باستمرار هذا النظام الملكي الجديد، لكن ستظل الطاعة شرطاً للبركة. ويؤكد صموئيل هذا في توصيته للأمة بعد قبولهم لشاول:

"إن اتقيتم الرب إلهكم وعبدتموه وسمعتم صوته
ولم تعصوا قول الرب، وكنتم أنتم والملك أيضاً
الذي يملك عليكم وراء الرب إلهكم. . . " إن أطاعوا الرب وخدموه (1صموئيل 12: 14).

إذاً ما زالت البركة متاحة للأمّة، إن أطاعوا الرب وخدموه. لكن إذا عصته، فستأتي عليها اللعنات المذكورة في تثنية 28–29. ويمضي صموئيل فيوضح لهم:

"وإن لم تسمعوا صوت الرب، بل عصيتم قول الرب، تكن يد الرب عليكم كما (كانت) على آبائكم" (1صموئيل 12: 15).

وإذا أخذنا هذا في اعتبارنا، فإن ملخص هذه الإصحاحات هو ما يلي:

على الرغم من المطالبة الآثمة للأمة بملك ورفضهم ليهوه، يمكن أن يكون لأمة العهد هذه ملك، لكنهم سيكونون مسؤولين عن مطالب العهد!

4. دراسة لاهوتية لإرادة الله

ينبغي دراسة مسألة إرادة الله بالنسبة لمطالبة الأمّة بملك بشكل متأنٍّ.[1] لم يُرد الله أن يكون لهم ملك، فلماذا سمح بحدوث هذا؟ هل تغيّرت إرادة الله؟

أ. طبيعة إرادة الله

يثير سبر غور إرادة الله إحساساً بالخشوع تجاه شخصيته العميقة ذاتها. فالأمر ببساطة هو أن الله يشاء، وهو يحقق مشيئته هذه بمنأى عن أيّ تأثيرٍ مسيطرٍ لكائن مخلوق. وفي ما يتعلق بقضاء الله، يمكننا أن نفرّق بين أمرين مختلفين أساسيين حول إرادته: إرادته المرسومية المقدَّرة وإرادته المدرَكة. يقول بيركوف،

إن إرادة الله المرسومية المقدَّرة هي التي يقرّر بموجبها بكل ما سيحدث، سواء شاء أن ينجزها بشكل فعال (بصورة سببية مباشرة)، أم سمح لها بأن تحدث من خلال الوساطة غير المكبوحة لمخلوقاته العاقلة. أمّا الإرادة المدرَكة، فهي حُكم الحياة الذي

[1] CF. J. Barton Payne, "Saul and the Changing Will of God," *BibSac* 129 (1972) 321:25.

وضعه الله لمخلوقاته الأدبية، مشيراً إلى الواجبات التي يفرضها عليهم أو يتوقعها منهم. تتحقق المشيئة السابقة دائماً، أمّا التالية، فغالباً ما تُعصى.[2]

ومع أن هاتين المشيئتين تبدوان متميزتين، إلاّ أنهما مشيئة واحدة أساساً في الله.

إن الجانب الأساسي من إرادة الله هو أن الله لا يمكن أن يشاء أي شيء مناقض لطبيعته أو حكمته أو محبته أو برّه أو قداسته. وهكذا، إذا أدركنا أن إرادة الله المرسومية (قضاء الله)– التي يقضي بموجبها– تتضمّن أيضاً أعمال الإنسان الآثمة، ينبغي أن نحرص على فهم هذا الأمر بصورة لا تجعل الله مصدر الخطية. إذْ تقودنا هذه النظرة إلى النظر إلى إرادة الله بالنسبة للخطية على أن إرادة الله تسمح بالخطية ولا تُحْدِثها. وبهذا المعنى يمكننا أن نصف إرادة الله بأنها إرادة سامِحة. إذ لا يلزم أن نفهم من القول إنّ سماح إرادة الله بالخطية أنه يُسر بالخطية.

ب. إرادة الله المدرَكة في أيام صموئيل

كانت إرادة الله المدركة في أيام صموئيل هو أن يحيا شعبه تحت حكم ثيوقراطي (إلهي) يكون فيه يهوه ملكاً. وقد أعطى الله أمّته الشريعة التي لم يرِد فيها ذِكر لملك أرضي (على الرغم من أنه أقرّ بالفعل بأنه سيكون هنالك ملك في نهاية الأمر). لكن أسَّس الله الكهنوت حيث كان الكاهن الأعلى ممثلاً للأمّة أمام الله. وبالإضافة إلى الكهنة، أقام الله قضاة وأنبياء ينقلون رسائله وإرادته إلى الشعب. وكان رئيس الكهنة يلبس صدرة الدينونة في مقدمة الأفود، وقد صُنِعت الصدرة على شكل كيس وُضِع فيه الأوريم والتميم اللذان كانا يُستخدمان لمعرفة إرادة الله. وهكذا لم يكن هنالك من داعٍ لملك بشري. كون إرادة الله المُدرَكة كانت تستثني مُلكاً بشرية فهو أمر يُرى في استجابة الله لطلب الشعب في 1صموئيل 8: 7، "لم يرفضوك أنت، بل إيّاي رفضوا حتى لا أملك عليهم."

ج. تغيير في إرادة الله

نرى تغيُّر إرادة الله في ما يتعلق بحكم شعبه. فقد قال الله لصموئيل في 1صموئيل 8: 22، "اسمع لصوتهم وملِّك عليهم ملكاً." نرى هنا أن إرادة الله السّامِحة تسمح بأن يكون هنالك ملك على شعبه. لكنّ مخالفة إرادته السامحة لن تؤدّي إلى إحباط خططه. عرف الله أن الشعب سيتفق معه في نهاية الأمر على أن وجود ملك بشري ليس افضل حل، بل إن حكم الله المباشر هو أفضل شيء لهم. غير أن الله استخدم هذا الأمر لكي يحقق قصده، ألا وهو إعداد ملكوت لابنه.

د. مسألة الذنْب المتضمن

[2] Louis Berkhof, *Systematic Theology*, 77.

لكي نفهم الذنب المتضمّن في هذا التغيير، فإن من المفيد أن نفهم الدافع وراء هذا التغيير. وفي 1صموئيل 8: 19، يقول الشعب، "لا، بل يكون علينا ملك، فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب، ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا." كانت دوافع الشعب خاطئة، لأنه لم تكن هنالك حاجة بهم إلى أن يكونوا مثل الأمم الأخرى في هذا الأمر. ولا يمكن أن يكون الذنب ذنب الله، فقد طلب الله من صموئيل أن يحذّر الشعب من مخاطر وجود ملك (صموئيل 8: 9-18). ستكون هنالك حاجة إلى وجود جيش دائم مستعد لدعم الملك وخدمته، وحاجة على الاستمرار في خدمة القصر، وحاجة إلى اقتطاع ضرائب، وحاجة إلى استخدام خدم المرء وحيواناته للخدمة العامّة. وستشكّل هذه الأمور عبئاً على الشعب.

غير أن الشعب أصرّ، فسمح لهم الله بأن ينالوا مشتهاهم. وبهذا يظهر الله أنه ليس الملوم، لأنه يحاول حتى جعل أفضل رجل ملكاً لكي ترى الأمّة حماقتها. والفكرة هنا هي أن الله لا يحاول إفشال الحكم الملكي؛ بل على العكس من ذلك، يقدم له أفضل فرصة للنجاح. فاختار الله شاول الذي كان رجلاً ممتازاً وسيماً (1صموئيل 9: 2). تغيّر قلب شاول، وكان الله معه (1صموئيل 10: 7-9). وفضلاً عن ذلك، كانت لديه المهارات اللازمة ليكون قائداً جيداً (الإصحاح 11).

كانت إرادة الله السامِحة بعيدة عن أي لوم، حتى إنها سمحت بعمله على تنفيذ خطته في حكمه ومقاصده كما نرى في 1صموئيل 12: 14: "إن اتقيتم الرب وعبدتموه وسمعتم صوته ولم تعصوا قول الرب، وكنتم أنتم والملك أيضاً الذي يملك عليكم وراء الرب إلهكم." ومن هنا لم يقم الله بأي "تصرُّف قسري" ضد الأمة لتبتعد عنه. ولا يمكننا القول إن الله تسبّب في فشل الحكم الملكي، لكن الذنب هو ذنب الشعب، كما يعلن صموئيل: "فإنّي أدعو الرب فيعطي رعوداً فتعلمون وترون أنه عظيم شرّكم الذي عملتموه في عيني الرب بطلبكم لأنفسكم ملكاً" (1صموئيل 12: 17).

هـ. إرادة الله تستغل الشر

استخدمت إرادة الله الشر في قضائه بالسماح للشعب بتنفيذ خيارهم وإعطائهم بهذا درساً عندما يثبت فشل خيارهم. لم يسمح الله بحدوث الشر لكي يبتعد الشعب عنه. فكما قال صموئيل، "لا تخافوا. إنكم قد فعلتم كلّ هذا الشر، ولكن لا تحيدوا عن الرب، بل اعبدوا الرب بكل قلوبكم" (1صموئيل 12: 20). في هذه الأحداث ستتعلم الأمّة درساً عظيماً حول التمرد على حكم الله، وسيستخدم الله هذا العمل الآثم لكي ينجز شيئين آخرين: (1) سيحرر شاول الشعب من يد الفلسطينيين – بالإضافة إلى معاقبته لعماليق (1صموئيل 9: 16)؛ (2) سيُعِد الله الشعب لحكم الملك البارّ، يسوع، الذي سيؤسس ملكوت الله.

درس لحياتنا

انظر بتمعن إلى صموئيل 8: 3: "ولم يسلك ابناه في طريقه، بل مالا وراء المكسب، وأخذا رشوة، وعوّجا القضاء." يمكن أن تقدّم الخدمة أحياناً الفرصة للكسب غير المشروع، غير أن الله لا يكرم هذا (ولا تفوته ملاحظة ذلك). يبحث الله عن النزاهة، سمة النزاهة الشخصية في حياة أولئك الذين يخدمونه. ليت الرب لا يسمح لنا بأن نحاول أن نخطئ على هذا النحو. إن إساءة استخدام الأموال المخصصة لخدمة الرب انحراف عن الوكالة الأمينة الموكلة إلينا. ونحن لا نخدم الرب من أجل المال، ولهذا لا يتوجب أن يكون هنالك مكان في حياتنا للسعي وراء المكسب غير الشريف.